فيه مطالب رزاقهم وكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر متذكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلب له السبب في كلها الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه
كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم
من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان
كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان
جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة
الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة
النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعد كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى
وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان
ثقيل الظل ومن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما
او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر
وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم
وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول
الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من جمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع
وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم
كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما
قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه
وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم
اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به
ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن
يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر
الذي تريدون بي اي ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ
ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه
لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع
في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله
لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد
ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم
لم يكن تفريطا منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فدوموا
على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان فنجيناه وجعلناهم
خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عليه السلام
من مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم

بالبينات

اي ادوا الى قطعه وتعهده لكم رضينا اليوم ذكر الامر

بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم
وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين
حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين
والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به
من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على
ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان
هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم
ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون
للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال
بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه
وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم
ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا
اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى عليه السلام للسحرة ما جئتم به السحر ان الله
سيبطله اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا
يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصفت
بالصيد والشوس ولهذا وصفه ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما وقرئ يطبع ويكون لكما
الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون
وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر
وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار
المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري
بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم
مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر ولانه ذو اصحاب
يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر
وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه
توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها
له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت
بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم

Copyright © King Saud University